رسالة الى الأصدقاء العرب

للشاعر الأذربيجاني رسول رضا

أيها الاصدقاء الاعزاء ،

في هـــذه الايام حيث اقتحمت المنـازل العربية فظائع الحرب القادرة القاسية واللاانسانية التي شنتها اسرائيل بدعم من الـــدول الامبريالية ولا سيما الولايات المتحدة وبريطانيا ، منزلة بالناس العرب الويلات والشقاء، رحت بصورة تلقائية أردد أبيات قصيدتي « آلام الارض » التي كتبتها منذ عدة سنوات في القاهرة . وكنت حينئذ عائدا من العراق ، فقمت بزيارة هذه المدينة البديعة . وكنت أرى في كل خطوة اخطوها الجهود الجبارة حقا لمواطنيكم الذين يعالجون جراح موطنهم بعد سيطرة طويلة وبغيضة للمستعمرين الاجانب .

لذلك لا بد لي من ان اوجه كلامي اليكم أيهـــا الاصدقاء العرب في الجمهورية العربية ، وبأشخاصكم ، الى جميع أبناء الامة العربية الشقيقة .

انكم أبناء شعبكم العظيم ، وقد فعلتم كل شـيء لانتهاج الطريق الكبرى للتقـــدم والتجديد وللازدهار الاقتصادي والثقافي للامة . ولكن كم كان ثمة من أعمال لم تنجز وآمال مضيئة لم تتحقق بعد ! لقد كان يلزمكم الوقت لنشر أجنحتكم بكل اتساعها ، واستجماع القوى قبل تحقيق المآثر الجديدة . لكن المعتدين الامبرياليين وصنائعهم الاسرائيليين كانوا يفرضـون عليكم المعـارك والمنازعات ، آخذين من وقتكم ، ساعين لتحويل جهودكم عن وجهتها المطلوبة .

انكم لم ترضخوا أبدا لوضعكم كأناس محرومين من الحقوق في بلادكم ذاتها . وقد رأيتكم تحطمون أغلال عبوديتكم الدهرية . ولا زلت أذكر الحماسة التي كان أحدكم يقول لي بها : « اذا كانت الاهرام المهيبة من عمل أناس مستعبدين وتستطيع كل حجر فيها أن تروي اكثر من قصة مؤلمة عن آلاف الارواح البشريـة المسحوقة ، فان سد أسوان قد شيد وهو سيظـــل مرتفعا طوال قرون بصفته رمزا لاعتزاز شعبنا المستيقظ ، وتمجيدا لعمل الناس الذين خلعوا النير الاجنبي » .

ان كل حجر يوضع في جدران المباني الجديدة كان بالنسبة لكم مصدر بهجة ، وكنتم تبتسمون لمرأى كـل ولد ذاهب الى المدرسة . وكنتم تبتهجون اكبر الابتهاج لدى الاصغاء الى أنباء المآثر الجديدة في البناء والتقدم العربيين .

واليوم انتهكت حرب هوجاء هدوء أرضكم الوادعة. والاشخاص الذين سقطوا ضحيتها كان يمكن أن يعيشوا سنين أيضا وأن يعرفوا السعادة ويحملوها الى آخرين.

ان المعتدين الاسرائيليين ، هؤلاء الاقزام اذا عدت سجايا الناس ، تضايقهم حرية الشعوب العربية ، فهي عدوهم الالد . ولا يريـــد الامبرياليون ان يروا بشرا يرفعون رؤوسهم أمامهم ، بوجوه معتزة ، مصممين على بناء الحياة الجديدة . وانهم بعد ان فقدوا تماما الحس بالواقع ، ارادوا ان يعيدوا عجلة التاريخ الى الوراء . ولن يتمكن أحد من جعل الشعوب تركع ، هذه الشعوب التي ذاقت ثمار الحرية ، بعد ان عرفت مرارة العبودية.

وستمضي أعوام . وستمحو الرياح آثار الحرب الدامية . لكن الخزي والعار سيظل لاصقـا ابد الدهر بأسماء المعتدين الاسرائيليين ومحرضيهم في واشنطـن ولندن وبون الذين يهددون بالموت الشعوب لمنعها مـن السير نحو الاستقلال ، أسمـــاء أولئك الذين داسوا بالاقدام مبادىء الانسانية المتمدنة . وسيبقى أبدا في الذاكرة هذا الكابوس للفظائع المرتكبة من قبل الاستعماريين « المسالمين » والمحاربين فعلا والمتسترين بأقنعة أخرى.

انني على يقين ، أيها الاصدقاء ، بأن شعبكم سيحتفظ بحريته غير منتهكة . وسيأتي اليوم الذي تجتمع فيـه كل الشعوب لتبادل التهاني بزوال الحروب نهائيا مـن حياة البشر ، وسيلفت البشر من جميع الجهات رؤوسهم نحو أي انسان ينادي « أيها الاخوة ، أيها الاصدقاء ! » .

وسأردد اليوم هذه الابيات بألم أكبر من ذلك الذي ألمّ بي حين قلتها لاول مرة :

ليس ما يثير قلقي هو هذه الليلة
وهذا اليوم
اللذان سيمضيان
ويبقيان بعيدا وراءنا .
اذا كنت لا أستطيع الرقاد
فان آلام العالم
وأوجاع الناس هي السبب .

(وكالة انباء نوفوستي)